التواصل الفني في المخطوطات الغرناطية والقشتالية (٧- ٩هـ / ١٣-١٥م)

د.حسام أحمد مختار العبادى•

تعبر كلمة التواصل في فحواها اللغوي عن العديد من المعاني التي تتفق في مجملها على ما يفيد حدوث الأخذ والعطاء و التأثير والتأثر و التداخل والتفاعل، والتبادل والترابط .ولقد اتخذت من فنون المخطوطات في كل من مملكتي غرناطة و قشتالة مثالاً ، وتعبيراً لبيان مدى التطور والتبادل المعرفي مع الأخر.

والحقيقة أن صناعة المخطوطات في الأندلس، منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوط غرناطة، تعد مثالا نموذجيا لهذا التفاعل والتواصل بين حضارة الإسلام والممالك المسيحية في شبه الجزيرة الإيبرية. ويعود ذلك إلى ما كانت تتمتع به الأندلس من مكانة علمية في عالم العصور الوسطى إذ كانت بحق مركزاً من أهم مراكز الحضارة الإسلامية .ثم ما لبثت بعد ذلك أن أصبحت أحد مراكز التأثير في النهضة الأوروبية والتي كانت إرهاصاتها الأولى في النهضة المحلية الإسبانية خلال القرن ٧هـ/١٣م وذلك نتيجة لجهود ترجمة المخطوطات الأندلسية إلى اللغة القشتالية في عهد ألفونسو العاشر ١٢٥٢-١٢٨٤م(العالم أو الحكيم)[1] El-Sabio.

والجدير بالذكر أن التأثير الأندلسي قد تجاوز المحتوى العلمي و الثقافي و تعداه ليؤثرفي فن صناعة المواد الكتابية والزخرفية والتسفير(التجليد)، أي أن التأثير العلمي تجاوز الترجمة من العربية إلى القشتالية فشمل الفحوى العلمي والقالب المادي معا.

وتعطينا المخطوطات القشتالية فكرة واضحة عن المظاهر الحضارية في غرناطة وهي تكشف الستار عن مظاهر حضارية مختلفة في المجتمع الأندلسي.وليس من قبيل المبالغة في شيء إذا ما قررنا هنا أن التواصل الفني الأندلسي – الإسباني يبدو واضحاً جليا في ميادين الفنون التطبيقية وفي مقدمتها فنون الكتاب.

ومن وجهة نظرنا أن إعداد الرَق والورق وتهيئتهما للكتابة لهو عمل يخرج عن حيز الصناعة إلى مجال الفنون، فهو فن يظهر الكتابة بخلفية تتناسب مع لون الخط، الذي يكتب بدوره بمداد أو حبر يتناسب مع الرَق أو الورق ليثبت عليه دون أن يتسبب في خرق الورق أو يكون كالماء السائل على الرَق، وبالتالي فهو نوع من أنواع الفن.طالما ظلت فنون إنتاج الكتاب تعتمد على الخبرة المتوارثة شأنها في ذلك شأن الحرف الفنية.

•كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

1Samso,Julio ,Alfonso x, La ciencia Espanola en la epoca de Alfonso el sabio, Toledo,1984, pp:89-102.

المنارة للاستشارات
www.

وبالإضافة لما سبق فإن ما يزيد من فنون الكتاب إبهاراً ويمنحها الصبغة الفنية الواضحة هي تلك الزخارف والأشكال المصورة التي تضفي على الكتاب المخطوط تصورا ماديا مرئيا لما هو مدون، حيث تجتمع الصورة الأدبية مع الصورة المرئية، لتزيده جاذبية وجمالا، ولكي يستكمل العمل الفني يقوم الفنان بتجليد الكتاب بغلاف مزخرف يتناغم مع ما بداخله من زخارف مختلفة، وذلك ليصونه من ما يخفيه له طول الزمن أو سوء استخدام من عوامل التلف.

وسوف تركز الدراسة في تناول مظاهر التواصل الفني في مجال إنتاج المخطوطات بين مملكتي غرناطة و قشتالةعلى ثلاثة محاور، الأول المواد الكتابية من الرق والورق والحبر، والثاني الزخارف، والثالث التجليد أو التسفير شكل(١).

أولاً :المواد الكتابية

تمتعت الأندلس بمكانة علمية متميزة منذ بداية العصرالأموي، وبلغت أوجها في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، خاصة في عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر[٢] ٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م، ويكفي للدلالة على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية عن مكتبته وما ذخرت به من كتب لعلوم مختلفة.

و لم يكن الاهتمام بالعلم والمكتبات قاصراً في قرطبة حاضرة الخلافة الأمويةعلى صفوة المجتمع و طلاب العلم، بل كان مظهراً اجتماعياً ، لمجتمع محب للثقافة والعلوم يتباهى الفرد فيه بما لديه من كتب، حتى قيل أنه إذا مات عالم في أشبيلية بيعت مكتبته في قرطبة وإذا مات موسيقي في قرطبة بيعت آلاته في أشبيلية[٣].

وقد رسخت هذه السمة الاجتماعية بفضل الرعاية والاهتمام التي أولاها بني أمية للعلم والعلماء، وأصبح هذا الاهتمام متوارثا لدى ورثة البيت الأموي في حكم الأندلس، فاهتم بعض ملوك دول الطوائف بالعلم مثل المعتمد بن عباد (٤٣١ ـ ٤٨٨ هـ/١٠٤٠ ـ ١٠٩٥م)، كذلك الحال في دولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م) وخلافة الموحدين(٥٢٤-٦٦٧هـ/١١٣٠-١٢٦٩م)، واستمر حتى حكم سلاطين بني نصرأو بني الأحمر(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)، في غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، ومما يدل على اهتمام سلاطين بني نصر بالعلوم أن السلطان محمد الثاني (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م) تلقب بالفقيه دلالة على علمه. فمملكة غرناطة كانت وريثة لما خلفته لها النظم السياسية السابقة بالأندلس من علوم، فأدلت بدلوها وتركت بصماتها في ظل ظروف سياسية متقلبة تتصف بعدم الاستقرار،بسب حركة الاسترداد الإسبانية التي تزعمتها كل من مملكتي قشتالة وارجون، و كان من نتائجها السيطرة على غالبية مدن الأندلس باستثناء غرناطة، التي قاومت هذا الزحف العسكري بشتى السبل، إلى أن

٢العبادي، أحمد مختار ،في تاريخ المغرب والأندلس،الإسكندرية،٢٠٠٥م،ص١٦٢.

٣خلاف،محمد عبد الوهاب،قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، تونس،١٩٨٤م،ص١٧٠.

المنارة للاستشارات
www.

كان سقوطهاعلى يد الملكان الكاثوليكيان فرناندو١٤٧٩-١٥١٦م و إيزابيل١٤٧٤-١٥٠٤م ملكا قشتالة و أرجون،عام ١٤٩٢م[٤].

ونتج عن كل ما سبق ذكره من اهتمام بالعلوم،اهتمام بالمواد الكتابية التي سجلت بها هذه العلوم، وابتكارما يناسب كل علم من مادة كتابية تساهم في إظهار الفحوى العلمي و تشارك في شرحه، كاستخدام التذهيب في عناوين الكتب والآيات، أو استخدام الألوان في الصوروالأشكال والزخارف،أو التطوير في تركيبات الحبر والمداد لتتلاءم مع ما يكتب عليه من ورق أو رق.

ومن الطبيعي أن تتأثر ممالك الجوار كمملكة قشتالة بتلك النهضة العلمية التي تميزت بها غرناطة بين مدن شبه الجزيرة الإيبرية.ولعل أولى مظاهر التواصل في المواد الكتابية بين المملكتين غرناطة و قشتالة هو إعداد الرق "Pergamino"، فالواقع إن التواصل في صناعة الرق ترجع إرهاصاته الأولى إلى ما قبل قيام دولة بني نصر حيث نجد أن الرق المعد في الممالك الإسبانية-ومن ضمنها قشتالة- منذ القرن ٩م/٣هـ حتى القرن ١٥م/٩هـ يختلف من حيث طريقة التحضير واللون عن ما كان متبعاً في الحضارة الإغريقية والرومانية وما كان متبعا في بقية ممالك أوروبا المعاصرة لدولتها ، ويتفق في طريقة تحضيره تدريجيا على مر تلك القرون الستة مع ما كان يصنع في بلاد الأندلس[٥].

وكانت المخطوطات تكتب في عهد الرومان على رق باللون الأصفروالأحمرو في بعض الأحيان كان يصبغ باللون البنفسجي، أما المخطوطات القشتالية فقد كانت تكتبعلى رق أزرق ومنها أنجيل دانيال من القرن ٣هـ٣هـ/٩م من مدينة اوبيدوا Oviedo بإقليم اشتوريش Asturiasوهي تذكرنا بمصحف القيروان الأزرق المحفوظ بمتحف البردوه بتونس ويرجع للقرن ٣هـ/١٠م (لوحة١ -٢).

ولعل هذا التشابه في طريقة الإعداد عائد لاستمرارية الحرفيين القائمين على هذه الصنعة في ورشهم حتى بعد سقوط المدن الأندلسية تباعا في يد مملكة قشتالة و أرجون، واستمرارية تلك الورش في مواقعها هو أمر حتمي تقتضيه طبيعة الحرفة، فلابد من وجودها بأطراف المدينة لما ينتج عن ممارستها من روائح غير مستحبة و أيضا بالقرب من مصدر للمياه لغسيل الجلد وتطهيره ،فاستمرارية المكان بالعاملين فيه هو أحد العوامل الهامة في تشابه خصائص الرق[٦].

ولا يكمن التواصل أيضا في فن صناعة الرق في مواصفاته المادية ولونه، بل في الاتفاق ما بين كل من قشتالة وغرناطة على استخدام الرق في الوثائق و الكتب التي تتسم بالأهمية لدى سكان المملكتين، فعلى الرغم من ظهور الورق وانتشار استخدامه، ظل الرق يحتفظ بمكانة متميزة ، فكانت بعض المصاحف والأناجيل

٤العبادي، في تاريخ المغرب،ص٣٧٠-٣٧٧.

5Escolar ,Hipolite,Historia universal del libro,Madrid,1993,p: 243.

6Diaz,Elena E,Rodriguez,La industria del libro manuscrito en castilla,HID,2001,p:314.

المنارة للاستشارات
www.

والوثائق تدون عليه، حتى في بلاد المغرب الإسلامي بعد سقوط غرناطة.واستمرت الكتابة على الرق حتى القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري ويبدو أن تلك الظاهرة كانت لدى أهل غرناطة وورثوها لمن في العدوى المغربية.[٧]

و خير مثال على ما سبق هو الوثيقة التي تم العثورعليها في ملقاMalagaوهي عبارة عن عقد بيع منزل يرجع لعام ١٤٩٣م بين سيدة هي ابنة الفقيه وبين انتطونيو دى ابيلا، إذ دونت تلك الوثيقة باللغتين العربية و القشتالية على رق نظراً لأهميتها بالنسبة للطرفين[٨]، ولعله لضمان حفظها لأطول مدة زمنية(لوحة ٣).

والمثال الثاني على التواصل الفني في الورق " الكاغد"الذي استخدم في كل من المملكتين فمن المعروف أن المسلمين هم من نقلوا صناعة الورق لأوروبا عن طريق صقلية و الأندلس، و ازدهرت صناعة الورق بمدينة شاطبة Xativa بإقليم بالنسيةvalencia،إلا أنه لم يقدر لغرناطة أن تستمر في موقع الصدارة بهذه الصناعة، بسبب سقوط مدينة شاطبة على يد خيمي الأول(١٢١٣-١٢٧٦م)Jaime I، ورواج الورق الإيطالي Tuscano وما كان يصنع من ورق قشتالي بالمدن الإسبانية منذ ق١٣م، الأمرالذي دفع بغرناطة أن تكون أحد الأسواق التي يتداول فيها الورق الإيطاليو الفرنسي والإسباني[٩].إلا أن التدخل من قبل مملكة غرناطة في هذه المادة الكتابية كان بصباغة هذا الورق المستورد باللون الأحمركرمز لهم في مراسلاتهم ،وهو شعار سلا طين بني نصر بغرناطة، وأتخذ كذلك في راياتهم[١٠].من المعروف ان القرن ٩هـ/١٤م يتميز بالأوراق الملونة على مستوى العالم شرقه وغربه وهناك العديد من امثلة المخطوطات باسبانيا المملؤة بأوراق ملونة مبعثرة بطريقة غير منتظمة [١١]، ولقد استخدمت الألوان في بعض الأحيان بمملكة قشتالة للدلالة على الرمزية الدينية والسياسية [١٢]

أما الورق القشتالي فقد استخدمت فيه علامات مائية، مستمدة من الثقافة الأندلسية كاليد المبسوطة بخمسة أصابع،تذكرنا بما يوضع فوق بوابات قصور الحمراء، و كان الهدف من تلك العلامات المستخدمة في الورق المصنوع بأوروبا بشكل عام هو معرفة مصدره، فكل طاحونة مائية تقوم بتصنيع الورق، لها ما يدل من العلامات أو الرموز (شكل ٢)[١٣].

٧المنوني،محمد،تاريخ الوراقة المغربية،الرباط،١٩٩١،ص٥٨.

8http://antiguaymedieval.blogspot.com/2009_04_011

9Lion ,Rafeal,papeles sobre el papel,Malaga,1997,p:51

10 Castrillo,Ricardo Gonzalez,Anaquel de estudios árabes, Nº 9, 1998 , p. 43

١١ديروش،فرنسوا، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة ايمن فؤاد السيد،لندن،٢٠١٠م،ص١١٥.

12Arce,José Damiánl González، El Color Como Atributo Simbolico Del Poder Castilla en LaBaja Edad Media, Cuadernos de Arte y Icnografia,Tomo IV,11-1993,pp.1-6.

13Hidalgo,Maria del Carmen, Caracteristicas del papel de las cartas de los reyes catolicos,Archivo secreto,num4,2008,pp:228-241.

المنارة للاستشارات
www.

أما الحبروالتذهيب والألوان التي تعبر عن التواصل بين المملكتين والمستخدمة في كتابة المخطوطات وزخرفتها، فقد استندت الدراسة في تلك النقطة – كمثال على التواصل ما بين قشتالة وغرناطة- على عقد مقارنة بين مصدرين أولهما من غرناطة وهو "تحف الخواص في طرف الخواص" لمؤلفه القللوسي أبو بكر محمد بن محمد بن إدريس القضاعي الأندلسي٧٠٧هـ/١٣٠٨م من ثغر إستبونة Estebona جنوب غرب مالقة[١٤]

وثانيهما هو مخطوط قشتالي محفوظ برقمH490 بمكتبة كلية الطب بمدينة موبلبية، مكتوب أغلبه باللغة القشتالية وأجزاء منه باللغة الاتينية، وهو عبارة عن نصوص لمواضيع مختلفة(Texo Miscelaneo) تم تجميعها ما بين عام ١٤٧٠-١٤٨٠م من قبل خوان دى سلايا Juan de Celaya الذي ورد اسمه بشكل متكرر في مواضع مختلفة من المخطوطوهو معلم فنون وحاصل على إجازة الفنون من جامعة سالامانكا Salamanca[١٥]

وهما يتناولان تركيبات المواد الكتابيةالسابق ذكرها، وقد تبين من تلك المقارنة أن التواصل بين المملكتين كان ممثلاً في التالي:

- أن كلاً من المملكتين قد استخدم تركيبات متشابهة في المكونات من مواد طبيعية نباتية و أحجار معدنية، بل أن إحدى الوصفات باللون الأزرق غير مكتملة في تحف الخواص " القللوسي"، نرجح أنه يمكننا استكمالها بمراجعة مخطوط كلية الطب الذي أورد وصفتين كل منهماتستند على حجر اللازورد، لاستخراج اللون الأزرقبإضافة شرائح من الفضة مع اللازورد وإمرار بخار الخلثم اخذ اللازوردوغسله وخلطه بالبخوروووضعه في ماء ساخن ثم خلطه بصمغ عربي وغسله بعد ذلك عدة مرات حتى يخرج الماء صافيا وبعد ذلك يخلطبماء قلي النخيل Lejia dePalmito مع عسل ثم يترك ليصفو عشر ساعات تم يطحن ناعما ويغسل بماء بارد وبعد ان يجف يطحن ثانية ويغسل ثم يترك ليجف وبعدها يستعمل .

والوصفة الثانية هي للون الأزرق المائل للخضرة تتفق في طريقة التحضير مع سابقتها وتختلف بإضافة شرائح من النحاس، نجد ان هذه الوصفة متكررة في مخطوطات القرن٨هـ/ ١٤م والقرن٩هـ/١٥م الذي يدل على مشرقية التركيبة الميل لاستخدام ماء قلي النخيل ولعل هذا التواصل ليس بغريب على مخطوط تمت ترجمة بعض فصوله عن نصوص عربيةبمدينة فاس الجديدة إلى القشتالية في عصر دولة بني مرين، أي أنه نقل في أجزاء منه أقر بترجمته عن نص عربي،وذلك يظهر أيضاً بشكل عام في المسميات العربية للمواد المستخدمة في تراكيب وصفات الحبر،

١٤تحف الخواص في طرف الخواص" لمؤلفه القللوسي أبو بكر محمد بن محمد بن إدريس القضاعي الأندلسي ٧٠٧هـ/١٣٠٨م،تحقيق حسام مختار العبادي،الإسكندرية،٢٠٠٧م.

15De La LLave ,Ricardo Cordoba,A fifteenth-century Castilian technical book of prescriptions:Manuscript H 490 of the Medical Faculty of Montpellier,En la España Medieval ,2005,N, 28,p. 7-48.

المنارة للاستشارات
www.

وإن كان هذا ليس بالأمر الغريب فهناك العديد من المصطلحات العلمية بل و أسماء لبعض المواد التي كان للعرب فضل في دراستهاو نشرها وقد تم ترجمتها بنفس نطقها باللغة العربية إلى لغات مختلفة.

- النص القشتالي أورد تركيبة مداد أسود من التركيبات الكلاسيكية التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي منذ القرن٤هـ/١٠م وظلت مستخدمة في مملكة غرناطة وورد ذكرها في تحف الخواص وهي عبارة عن عفص وزاج وصمغ عربي ولقد ورد ذكرها أيضا في مصادر اوربية أخرى بنفس المكونات.

- في مجال التذهيب أورد المخطوط القشتالي وصفا لتذهيب يتفادى فيها استخدام معدن الذهب أو الفضة بإبدالهما بكبريتيد القصدير[١٦] على الرغم من سلبيات تلك الوصفة ، التي نجد نصحا من قبل مصوري ومزخرفي المخطوطات القشتالية باستخدام التركيبة الواردة بتحف الخواص والتي تستند على شرائح الذهب بشكل أساسي في عملية التذهيب ولا يتم استخدام التركيبة القشتالية إلا في الضرورة

- يتفق المصدران في تناولهما لمواضيع مختلفة ذات صفة علمية وان كان الجزء الاكبر من فصولهما له علاقة بفنون الكتاب

بالإضافة لما سبق نجد أن كتاب العدل Los Notariosفي ق ١٥م/ ٩هـ في مايوركا استخدموا تراكيب حبر تعتمد على الماء المالح (ماء البحر) وهو من الوصفات التي كانت متداولة في مملكة غرناطة ومن الملاحظ أن بعض وصفات الحبر التي ترجع للعصور الكلاسيكية، استمرت في التداول والاستخدام في كل من قشتالة وغرناطة[١٧].

ثانيا : الزخارف

تظهر الدراسة في هذا الجانب أنه بالإمكان الاعتماد على زخارف المخطوطات وصورها في إظهار مدى تأثر مملكة قشتالة بجوانب حضارية عديدة في مملكة غرناطة، سردها لنا التاريخ مثلما سجلتها الآثار،وصورتها ريشة الفنان الاسباني، وهي خير مثال على التواصل الفني بين المملكتين.

لقد ظهر التأثير الإسلامي في صور المخطوطات المعنية بالدراسة في أكثر من موضع وهذا التأثير ناتج عن وجود مصدر فني قوي متمثل في مدينة غرناطة وريثة الحضارة الأندلسية التي كانت مصدراهتمام الفونسو العاشر ليس فقط في مجال العلوم المختلفة بل ايضاً بمجالات الفنون والعمارة، ولم يكن هذا الاهتمام مقصوراً على الفونسو العاشر فقط بل شمل أيضا ملوكا آخرين من ملوك قشتالة، مثل الملك

١٦يطلق عليه من بعض المصادر القشتالية الذهب الموزيكي aurum musicum u oro musivoحيث كانت تستخدم تلك التركيبة لتذهيب الموزيك انظر : THOMPSON,D. V., An anonymous fourteenth-century treatise: DeArte Illuminandi, New Haven 1933, p. 37

17Mª. M. Cárcel Ortí i J. Trenchs Òdena, "La tinta y su composición: cuatro recetas valencianas (siglos XV-XVII)", Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos,N. 82 ,1979،p: 415-426

المنارة للاستشارات
www.

دون بيدرو "القاسي"(١٣٣٤-١٣٦٩م)pedro el cruelالذي بعث إلى السلطان محمد الخامس أحد ملوك بني الأحمر بغرناطة يطلب منه البناءين والعرفاء لزخرفة قصره وبنائه على الطراز الغرناطي.

ونستطيع أن نشاهد في قصر إشبيلية عبارات باللغة العربية على نسق العبارات التي تزين قصور الحمراء فنجد عبارة " ولا غالب إلا الله "و "العز الدائم لدون بترو حفظه الله"، إذاً كان التأثر قد وصل إلى مداه في العمارة وأيضاً نجد هذا التأثر واضحا على الفنون الصغرى كما نرى في عصا الكاردينال سيزنيرو[١٨] (١٤٣٦-١٥١٧م)"Cesnero"[١٩] التي عليها كتابة عربية غير مقروءة وكذلك في بعض التحف الخشبية والخزفية(لوحة ٤)،ومن ثملايستبعد أن يصل هذا التأثير نفسه إلى صور المخطوطات وخاصة في أناشيد السيدة العذراء[٢٠] Las cantigasلأن الفن وحدة لا يتجزأ إذا تأثر منه فرع شد إليه الفروع الأخرى، ولا ريب في هذا حينما يكون الفن المراد دراسته هنا هو جزع فني شامل بكل تلك الفروع فالتصوير إنما هو تسجيل لكل ميادين الحياة دينيه كانت أو دنيوية وبالتالي يشمل التأثيرات المختلفة داخل إطاره لأنه بطبيعة الحال يقوم بتصوير التحف والعمائر وهي نفسها متأثرة بالفن الإسلامي ذي الطابع الأندلسي، وبالتالي تظهر التأثيرات الإسلامية بوضوح في تلك الصور، ولكنتأثيرهاأخذ بعداً أكثر عمقاً .

١٨الكاردينال فرانسيسكو خيمينيز دي سيسنيروس، والده كان جابيا للضرائب. درس في جامعة سلامنكا، ولد في١٤٣٦، توريلاجونا، قشتالة وتوفي ٨ نوفمبر ١٥١٧ بروا تولى منصب المصلح الديني، عام ١٥٠٧ أصبح كل من الكاردينال والمحقق الكبير لإسبانيا، وخلال حياته العامة سعى إلى التحويل القسري للمسلمين الإسبان إلى المسيحية و الترويج لغزو شمال أفريقيا أنظر EncyclopeadiaBritannica

http://global.britannica.com/EBchecked/topic/303923/Francisco-Cardinal-Jimenez-de-Cisnero

19 Higura,Terresa Perez,Objetos y Imagenes de Al-Andalus,lunwerg,1994,p:56.

٢٠تحتفظ مكتبة الأسكوريال بنسختين من الرق مكتملتين من عهد الفونسو العاشر ،كل كراسة تشمل ثمان ورقات تم تحديد السطور في كل ورقة باستخدام الرصاص أما علامات الترقيم فهي أما حروف أو أرقام عربية، تشتمل النسخة الأولى B-1-2على ٤٢٧ انشودة مدونة في٣٦١ ورقة ٤٠x٢٧سم وقام بكتابتها خوان جونديسلابو Juan Guandislavo في القرن٧هـ/١٣م،الكتابة بخط قوطي موزع على عمودين بعض الكلمات مدونة بالخط الأحمر أما الصور فهي موزعة على عمودين بكل منهما ثلاث صور، أما الثانية T-1-1فيبلغ عدد صفحاته٢١٠ورقة ٤٨x٢٣سم وتحتوي على١٩٣ انشودة والصور موزعة فيها على عمودين بكل عمود ثلاث او اربع صور.

Escolar,Hipolito ,Historia del libro,Fundacion Girman Sanchez Ruiperez,1993,p.315-16.

المنارة للاستشارات
www.

و في هذا السياق نتناول بشيء من التفصيل المؤثرات المباشرة في كل من كتاب أناشيد السيدة العذراء وكتاب النصوص las Siete partidas [٢١]، وكتاب الألعاب Libro de los juegos [٢٢]،والنسخة المترجمة لكتاب كليلة و دمنة [٢٣].

١: المؤثرات المعمارية

وتظهر بصورة جلية واضحة في العقود ذات الصنج المتبادلة من الحجارة والآجر، وهوعقد أندلسي خالص نجدة ممثلاً في صورة رقم(Fol 18) (لوحة ٥) في كتاب الألعاب"El Libro de los juegos"وهي توضح مدى تأثر العمارة والتصوير القشتالي بالفن الإسلامي حيث نجد التأثير الإسلامي مزدوجاً ليس فقط في استخدام ظاهرة تبادل الحجارة مع الأجر بل نجده منفذا في عقد مفصص بداخله سيدة تقوم بلعب الشطرنج، أما عن الأخيرة فقد ظهرت في أكثر من صورة بكتابي الفونسو العاشر ككتاب الألعاب بكل في صورة رقم (Fol 65ورقمFol48) (لوحة٦-٧)حيث يظهر فيهما استخدام العقود المفصصة ،تلك التي استخدمت على نطاق واسع في العمارة الأندلسية في قصور الزهراءوجامع قرطبةوأخيراً في قصور الحمراء بغرناطة، وفي نفس الكتاب نجد أيضامثالاً آخر للعقود المفصصة ممثلاً في خلفية الصورة رقم(Fol 12) (لوحة ٨)والتي بها مدخل ذي عقد مفصص يوجد مثيل له في كل من جامع قرطبة وابواب مراكش بالمغرب والجعفرية بسرقسطة وفي قصبة ملقا وقصور الحمراء بغرناطة(شكل ٣).

أما التأثير المعماري الآخر فيتمثل في تيجان الأعمدة والتي تطورت تطوراملحوظاً في أشكالهاالمختلفة خاصة زخارفها المورقة في تيجانها ذاتالطابع الكورانثي المحور، أو زخرفة المراوح النخيلية المحورة وهذا الأخير من التيجان كان مستخدما في قصور الحمراء وقصر إشبيلية مما يدل على أن هذا التأثير كان واضحا في صور المخطوطات ومثلما هو واضح في عمائر مملكة قشتالة كقصر إشبيلية الذي تم فيه مباشرة الفونسو العاشر تأليف تلك الأعمال وترجمة البعض منها من العربية ولقد

٢١كتاب النصوص السبع من الكتب التشريعية محفوظ بالمكتبة البريطانية بالندن،رقم Add.20.787,كتب على رق ومكون من ١٥٠ ورقة ٢٧ x 19سم مكتوب بالخط القوطي باللونين الأزرق والأحمر ينقصه الصفحات من ١٤٦-١٤٧ انظر كل من:

Escolar,Hipolito ,Historia del Ilustrada del libro Espanol, Los Manuscritos,Fundacion Girman Sanchez Ruiperez,1996,p.195.

Alfonso X Toledo,Museo de Sanata Cruz,1984,p.129.

٢٢كتاب الألعاب كتاب مترجم من نصوص عربية كتب بمدينة اشبيلية بأمر من الفونسو العاشر يشتمل على ١٥٠ لوحة تمثل منازلات في لعبة الشطرنج ما بين شخصيات مختلفة ،الكتاب محفوظ بمكتبة الأسكوريال ، مدون على رق مكون ٩٧ ورقة ٤٠x ٢٨ سم انظر:

Alfonso X Toledo,p.178

٢٣النسخة محل الدراسة هي من ممتلكات الملكة ايزابيل الأولى من القرن ١٥م/٩هـ ومحفوظة بمكتبة الأسكوريال برقم h-III-9 مدونة بلغة قشتالية على ٩٤ ورق ١٩,٣ x ٢٧,٨ سم انظر:

Alfonso X Toledo,p.178

المنارة للاستشارات
www.

كان نقل المصور لمشاهده في كل من اناشيد السيدة العذراء وكتاب الألعاب بناءا على ما شاهده في قصر أشبيليه وما تأثرت به العمارة القشتالية في تلك المرحلة الزمنية بقصور الحمراء بغرناطة والعمارة الأندلسية بشكل عام.

ب : المداخل والأبواب

هناك نماذج للمداخل في صور أعمال الفونسو العاشر مشابهةلتلكالموجودة في العمائر الأندلسية من حيث شكل العقود ومصراعي الابواب المدعمة بحلقتين تمثلان المقبض وفي نفس الوقت تستخدم لربط الدواب (لوحة٩)، وهو نفس الشكل الذي تظهر به الأبواب مرسومة في المخطوطات العربية أو التي ترجع على وجه الخصوص إلى مدرسة التصوير العربي ٦هـ/١٢م، على سبيل المثال تلك الأبواب في مخطوط بياض ورياض ق ٧هـ/١٣م المحفوظ بمكتبة الفاتيكان برقم Ar.368 والتي فيها أبواب قصر ابنة الحاجب مصورة على نفس شاكلة أبواب كتاب الألعاب[٢٤].(لوحة١٠)

ج: المؤثرات في التحف المنقولة

(١) التحف الخشبية

يوجد بعض قطع الأثاث ذات الطابع الإسلامي والتي تستخدم في الحياة اليومية مثل الصناديق في صورة من كتاب الأناشيد للسيدة العذراءXXV(لوحة ١١) وكذلك في صورة أخرىGLIX،وكراسي العرش السلطاني مما يظهر تأثرها بزخرفة الأرابيسك التي نشاهدها في هذا الكرسي في صورة من كتاب أناشيد السيدة العذراء رقمGLXV(لوحة ١٢)،حيث صنع مسند الكرسي بطريقة الخرطوالتي تتشابه مع تلك الموجودة بالمشربيات الإسلامية في أحياء القاهرة الإسلامية ، ولكن الاختلاف بين تلك الزخارف الخشبية في مسند الكرسي و الزخارف الخشبية في المشربيات هو أن البرامق الخشبية في الأخيرة تبدو أكثر أتقاناً من البرامق الموجودة في الأولى وهي تمثل ما كان يصنع بغرناطة وغيرها من مدن الأندلس[٢٥].

(٢) التحف المعدنية

يوجد نماذج معدنية على هيئة مشكاوات تستخدم للإضاءة في الكنيسة ومرسومة في صور رقم Fol 96 من كتاب أناشيد السيدة العذراء(لوحة١٣) وهي نفس وسيلة الإضاءة التي كانت مستخدمة عند المسلمين ونجد شبيهاً لها في العالم الإسلامي على وجه العموم وكذلك الشكل المتمثل في الإناء لوضع الزيت واشعاله نجد شبيهاً له مصوراً في المخطوطات العربية في مقامات الحريري تاريخ وكذلك نموذج مشابه له

[24]Balbas, Leopoldo Torres , Miniaturas Medivales Espanolas ,Cronica de La Espana Musulmana,4, ,Spain,1981,p:270.

[25]Balbas, Leopoldo Torres , Muebles Hispanoarabes en Las Cantigas de Alfonso El Sabio, Al-Andalus, vol.x,1945,p.50.

المنارة للاستشارات
www.

على قطعة خشبية من الخرط محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة جلبت من مدرسة السلطان حسن٧٥٧/٧٦٤هـ[٢٦].

(٣) الستائر

في داخل المنشآت المدنية كالقصور والمنازل توجد ستائر تقوم بدور فاصل أوساتر تقسم الأماكن المفتوحة وتفصلها عن بعضها البعض وهي بذلك تلعبدورا رئيسيا في تحديد المكان المراد تأسيسه، وهذه سمة من سمات العمارة المدنية الإسلامية.وإذا ذكرنا بعض الأمثلة الواردة لدينا في الأساطير والروايات التاريخية وجدناها تروي لنا نماذج من أحاديث تدور من خلف الستائر وضحكات لفتيات يسمعها الحضور من ورائها واجتماعات يحضرها الخلفاء والسلاطين دون أن يراهم الحاضرين وغير كذلك من أمثلة عديدة[٢٧].(لوحة١٣ -٨)

ومن نماذج المنازل التي نشاهد صورها في مخطوط أناشيد السيدة العذراء والمزينة بالستائر وهو تأثير إسلامي ليس فيالاستخدام بلفي الزخرفة، فنجدزخارفها متأثرة بزخارف المنسوجات الإسلامية

وقد اتخذت الستائر في صورة أناشيد السيدة العذراء هيئتين ، الأولى لستر جدار والثاني لسد فراغ. فالأول كان يستخدم في الحضارات القديمة وليست له صفة الابتكارهنا ولكن بغرض زخرفي ولا سيما في المباني الفاخرة أو في الكنائس ونجد مثالا صريحا لهذا النوع في الصورة رقم (CANT. 67) من كتاب أناشيد السيدة العذراء وهي ستائر مثبته بمسامير على حائط ومعلقة بحلقات لستر جدار غرفة طعام المطران.

أما الثاني فنجد أمثلة له تتخذ شكل معقود الطرفين حول الأعمدة أو ينسدل الطرف ويعقد الأخر وهي في جميع الأحوال مثبته أما عن طريق مسامير أو معلقة بحلقات ويمر من خلال تلك الحلقات عمود عرضي كما هو الحال في وقتنا الحالي.والأمثلة التي لدينا نجدها مثبته أسفل العقود لتكمل وظيفة العقود في العزل إذا رغب في ذلك.

وهناك تشابه بين تلك الستائر والأخرى الموجودة في مقامات الحريري خاصتاالمعقودة الجانب والجانب الأخر مسدل دون أن يربط[٢٨].

(٤) السجاجيد

كان استخدام السجاجيد عادة شرقية في الأساس إذ استخدمها المسلمون في ارتحالهم كبدو رحل وكذلك في مساكنهم كحضر يقيمون في المدن،وبرع المسلمون في صناعة السجاد على وجه العموم وأصبح كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامي له طرازه

[26]Menedez- Pidal,Gonzalo,Espana Del Siglo XIII Leida En Imagenes ,cuadernos de la Alhambra,vol.18,1965,p:84.

[27] Menedez- Pidal,Gonzalo,Espana Del Siglo XIII,p:62.

٢٨عكاشة، ثروت: فن الواسطي من خلال مقامات الحريري أثر إسلامي مصور، دار المعارف المصرية،١٩٧٤م،ص٢١.

المنارة للاستشارات
www.

الخاص الذي ينسب إليه أو ينسب للعصرالذي ازدهر فيه ولكل إقليم أسلوبه الزخرفي المختلف الذي يكون عامل مساعد في تأريخ السجاد.
والأهم من ذلك أن استخدام السجاد قد انتشر في أوربا منذ اواسط القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي خاصة في فرنسا و انجلترا وشمال أوربا وهذا الانتشار بطبيعة الحال كان نتيجة للاحتكاك الحضاري مع المسلمين في الأندلس وكان أحد وسائل الانتقال عن طريق ليونور الاخت غير شقيقة لألفونسو العاشر التي نقلت عادة استخدام الابسطة والستائر إلى البلاط الانجليزي لزواجها من الأمير ادوارد ونستطيع ان نشاهد نماذج من السجاد في بعض صور كتاب أناشيد السيدة العذراء(لوحة١٣-١٤) .
ولا ريب في أن هذا التأثير قد جاء من شبه الجزيرة الأيبيريه التي اشتهرت بعض المدن فيها بصناعة السجاد مثل بازا والمرية والفضل يرجع بطبيعة الحال في إدخال هذه الصناعة للمسلمين كما سبق أن أشرنا[٢٩].

(٥) مناظر الحياة اليومية

نجد نموذجاً للخانات والأسواق في صور أناشيد السيدة العذراء (لوحة١٥) المعروفةبالقيصرية وهو سوق مكون من متاجر أو خانات معقودة أو متلاصقة يفصل بينها وبين الخانات التي في مواجهاتها طريق ضيق وهذا النموذج نستطيع رؤيته بأسواق غرناطة وفاس وتونس ومدن الشرق الأخرى.
ومن ضمن ما تعبر به المخطوطات القشتالية كمثال على التواصل ما بين قشتالة وغرناطة صور كتاب الأناشيد السيدة العذراء والألعابمناظر الطرب والعزف على الآلات الموسيقية (لوحة ١٦)التي من بينها العود ولعبة الشطرنج .
أن إجادة الأندلسيين لهذه اللعبة كان له صداه عند الأسبان فانعكس هذا على حياتهم اليومية وأصبحوا يمارسون اللعبه مما جعل الفونسو الحكيم يقوم بتسجيل تلك اللعبة في كتابة الألعابDe Los Juegosفي شكل صورتين تبين مدى التأثر بالحضارة الإسلامية (لوحة١٧ و ١٨)حتى في الوسائل الترفيهية والأكثر من ذلك أننا نشاهد نماذج مشابهة لتلك الصور في المخطوطات المصورة الإسلامية مثل قصة بياض ورياض التي ترجع إلى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، والتشابه لا يأتي فقط من حيث تصوير لعبة الشطرنج بل يتعداه إلى صورة اللاعبين بنفس الجلسة كما سبق أن أشرنا
ويلاحظ هنا أن التأثر لم يكن فقط بممارسة اللعبة بنفس قوانينها بل تأثر الإسبان بمصطلحاتها فنجدهم يستخدمون كلمة Ajedrez تحريفاً لكلمة الشطرنج العربية ذات الأصل الفارسي وخاكي ماتي Jaquemeate بمعنى مات الشيخ[٣٠].

[29]Higura,Terresa Perez:Objetos y Imagenes,p:150.
٣٠العبادي، حسام أحمد مختار: الألعاب ووسائل اللهو بالأندلس، الجمعية السعودية للدراسات الاثارية ،٢٠١٠م،العدد ٢.

المنارة للاستشارات
www.

(٦) مناظر القتال والأسلحة:

من ضمن ما تم تصويره في أناشيد السيدة العذراء مناظر قتال وحصار تمثل جنود بني نصر برياتهم الحمراء مدون عليها ما يشبه عبارة "ولا غالب إلا الله" شعار بني الأحمر، بالإضافة لملابس الجنود ودروعهم والدرق الجلدية اللمطية (لوحة١٩) وأقواس القدم وسيوفهم(لوحة٢٠) التي تتشابه بما هو مرسوم في قصر البرطل بقصور الحمراء وما هو محفوظ بمتحف غرناطة . وأنواع السروج المختلفة طبقا لمهام الفارس وتسليحه ،فنجد السرج الزناتي ذي الركاب المرتفع مثل الجوكي حتى أن الإسبان قاموا باستخدامه في بعض فرقهم العسكرية باسمZenetes اي الزناتيون ثم حورت في الإسبانية إلىJinete بمعنى فارس .

ولم يكن التأثير في استخدام الأسلحة من قبل غرناطة فقط بل كان الغرناطيون يستخدمون الدروع الحديدية، والمغافر الملثمة والرماح الطويلة التي كانت متداولة ومستخدمة من قبل الإسبان وهو ما توضحه صورة رقم XXVIII من اناشيد السيدة العذراء[٣١](لوحة٢١)

كما توضح الصور طرق حصار القلاع واستخدام الدبابة وهي الأبراج ذات الطوابق المتعددة تتحرك على عجلات ومغلفة بالجلود المنقوع في الخل لدفع النار عنها لاعتلاء الأسوار أو خرقها، واستخدام العرادة وهي ألة أصغر من المنجنيق وترمي السهام والحجارة لمسافات بعيدة .[٣٢]

(٧)الأشكال الآدمية

نجد تصوير لشخصية الـ Moroالعربي في أكثر من موضوع داخل أعمال الفونسو المصورة فتارة يظهر لنا في شخصية المحارب وفي زيه العسكري ،وتارة أخرى يظهر لنا كسفير بعمامة وعباءة ملونة أو في صورة تاجر مسافر في مركب.

وما يميز شخصية العربي عن دونه هو ملابسه وعلى وجه الخصوص عمامته وتصويره دائماً بلحية ، وقد كان الفنان الأسباني حريصاً في أن يصوره حتى في جلسته فنجده يجلس جلسة القرفصاء أثناء لعبة الشطرنج، أما عن السيدات فقد صورهن مرتديات ما يشبه الحجاب (لوحة٢٢) وفيما يخص غطاء القدم فالنساء في هذه الفترة كانوا ينتعلون أخفافاً سوداء، طرفها الأمامي مستطيل ومعقوف، أما داخل البيت فقد انتعلوا الصندل الجلدي، والقبقاب الخشبي. وتذكر بعض الوثائق أن السيدات بغرناطة كن يلبسن السراويل الطويلة من الكتان الأبيض، ومن أعلا يلبسن قميصا طويلا ،ومنديلا على الرأس وعباءة تغطي الجسم حتى بطن الساق وكن

٣١العبادي، أحمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف،٢٠٠٠، ص٢٣٨.

٣٢العبادي،أحمد مختار:صور من حياة الحرب،ص٤٧.

المنارة للاستشارات
www.

يرتدين في أرجلهن خفاً غليظاً من الجلد يلبس فوق خف أدق منه يدعى الموق[٣٣]أو أخفاف مطرزة بالحرير[٣٤].

كما ظهرت العباءة العربية الشكل في صور كتاب أناشيد السيدة العذراء وهو نوع من أنواع تسجيل الاحتكاك الاجتماعي ما بين المسلمين والمسيحيين في شبه الجزيرة الايبرية وهذا الاحتكاك الحضاري أتخذ أشكالاً عدة فتارة نجدها في صورة صداقة تربط ما بين القاضي المسيحي لمدينة Chincoyeمع القاضي المسلم لمدينة Belmez وهو ما ترويه لنا الأنشودة رقمCLXXXVII(لوحة ٢٣) وتارة أخرى نجدها على هيئة سفارات دبلوماسية أو احتكاك عسكريوأخيراً علاقات اقتصادية وتجارية. أما الرداء الذي كان منتشراً بين الأندلسيين و الإسبان على وجه العموم فقد كان الجبة فنجد المقري يشير أن الحكم الثاني بعث إلى اردونيو الرابع (٩٢٦ - ٩٦٢ م) Ordono IV[٣٥] ملك ليون هدية مكونة من جبه وبرنس له غطاء للرأس وكذلك نجد ذكر للجبه في كتابات الكونت لوكانور El Conde Lucanor[٣٦]ورد فيها "عندما سئل الملك ما نوع الجبة التي يريدها" وفي موضع أخر من نفس الكتاب" عندما سأل الخادم سيده ما نوع المكسيه (almexia) وهو نوع يشبه الجبه ولكن أقصر منها طولاً وتظهر لنا بكثرة في صور اعمال الفونسو العاشر وهي المستخدمة من قبل عليه القوم والخلفاء وتصنع في ملقا Malaga ومدينة المرية Almaria[٣٧]، وهو يتفق مع ما ورد لنا في كتابات ابن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ/١٣١٣-١٣٧٤م)[٣٨]حيث لم يغفل في كتاباته عن وصف لباس الرجال من سكان غرناطة، سلاطين كانوا أم علماء أم قضاة أم جنوداً، فذكر أن السلطان الغالب بالله محمد الأول مؤسس الدولة النصرية ١٢٣٢ ـ ١٢٧٣م ، دخل غرناطة: "وعليه شاية ملف مضلعة، أكتافها ممزقة". ويبدو أن الزي النصري تأثر بالمحيط الذي انتمى إليه. فالشاية هي معطف

٣٣الدوسري، أحمد الثاني: الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر، المجمع الثقافي أبوظبي ـ الإمارات العربية ٢٠٠٤

٣٤عبد الحسن ،ثريا محمود :أزياء المجتمع الأندلسي من ٩٢-٦٢٥هـ، مجلة كلية الآداب،جامعة ديالي،عدد١٠٢،ص١٩٩.

٣٥أردونيو الرابع المعروف بلقب الخبيث أو السيء هو ملك ليون بين عامي ٩٥٨-٩٦٠ م وبعد أن تم خلعهلجاء للخليفة الحكم المستنصر الذي استضافه في قرطبة حيث توفي بها
.http://global.britannica.com/EBchecked/topic/431573/Ordono-IV

٣٦وهو عمل ادبي من تأليف خوان منويل Juan Manuel ما بين ١٣٣٠-١٣٣٥ م عبارة عن مجموعة من القصص المستمدة من الثقافة الشرقية والحضارات القديمة حيث نجد قصة بائعة اللبن من ضمنها، تحتفظ المكتبة الوطنية بمدريد بنسخة اصلية برقم
Incipit del Conde Lucanor. Manuscrito del siglo XIV-XV. Signatura: MSS/6376 de la Biblioteca Nacional

[37]Lovillo,Jose Guerrero:Las Cantigas Estudio Arqueologico de Sus Miniaturas,Madrid,1949,p:183-186.

٣٨ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب ، الإحاطة في إخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، http://www.alwarraq.com ، ج ١ ، ص ١١

المنارة للاستشارات
www.

قصير من الصوف كان يرتديه الرعاة في المناطق الجبلية بقشتالة، وشمال إسبانيا. وكانت الأردية متعددة الأشكال والأجناس بحسب تعدد المناطق، يقول ابن الخطيب: "والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"وعلى الرغم من التأثير الواضح في هذا المجال من قبل المسلمينفي قشتالة إلا أننا نجد ابن سعيد الذي شهد قيام دولة بني نصر يشير إلى أن سلاطين بنو الأحمر كانوا يرتدون ملابس تشبه ملابس جيرانهم المسيحيين أذ كانوا يرتدون قلنسوة عالية شبيهة بما هو موجود بقشتالة ونستنتج من هذا أن التأثير في مجال الملابس كان متبادلاً في الاتجاهين فيما بين المسيحيين والمسلمين.

وترجع أهمية الملابس إلى إظهارها لملامح الاختلاف بين طبقات المجتمع فزخارف الملابس وأشكالها وألوان العمائم تميز الأمير عن سكان القرى و عن الرجل العسكري وهذا التأثير لم يكن محصوراً فقط في شكل الملابس بل تعداه حتى سمي بمسميات عربية فنجد على سبيل المثال كلمة قميص نقلت إلى اللغة الإسبانية Camisa والعكس نجد انتقال ملابس إلى المسلمين بمسمياتها المسيحية فكان هناك ما يشبه التانوره تسمى بـ Saya كانت تسمى بالعربية شايه [٣٩].

أما عن مادة النسيج التي كانت تصنع منها الملابس بشكل عام فقد كانت إما من القطن أو الكتان أو الحرير وقد اشتهرت الأندلس بتلك المنتجات حيث ذكر الشقندي أن مدينة جيانJaen سميت بجيان الحرير لشهرتها بصناعة الحرير، أما عن الألوان فقد كانت هناك ألوان عديدة أكثرها أنتشاراً اللون الأبيض والأسود، و الأبيض على وجه الخصوص الذي كان محبباً للأندلسيين ولا سيما في عهد بني أمية حيث كان شعارهم البياض وكذلك بالنسبة لبني نصر بغرناطة فملابس الاحتفال والأعياد كانت بيضاء اللون[٤٠].

وبالتالي فأن الفضل يرجع للتواصل ما بين صور المخطوطات القشتالية والنصوص التاريخية العربية لأبن سعيد ولأبن الخطيب وغيرهم في إعطاء شكل لما هو موصوف فيكتمل الوصف مع الشكل في نوع من انواع التواصل الغير مباشر في كل من غرناطة وقشتالة.

(٨) الأشكال الحيوانية

تعتبر تصاوير كتاب كليلة ودمنة المترجم للغة القشتالية والمحفوظ بمكتبة الاسكوريال من أوائل ما ترجم في عهد الفونسو العاشر ومثالا واضحا على التواصل ما بين المخطوطات القشتالية والإسلامية بشكل عام فعلى الرغم أننا لم نعثر على نسخة اندلسية إلا انه عن طريق المقارنة مع النسخ المشرقية نثبت التأثير المشرقي في

[39]Arie,Rachel:Le Costume Des Musulmans De Castille,Au XIII Siecle D'Apres Les Minatures Du Libro Del Ajedrez, Mélanges de la Casa de Velázquez,1966,vo:l2, p:63

٤٠عبد الحسن ،ثريا :أزياء المجتمع الأندلسي،ص١٩٩

المنارة للاستشارات
www.

شكل رسم الحيوانات الذي يذكرنا بمدرسة التصوير العربية وخاصة أن أسلوب التصوير المتبع في تنفيذ تلك النسخة المترجمة ويدفع إلى الشك بأنه كانت توجد نسخة نقلت بالأندلس أقدم نسخة من كتاب كليلة و ودمنة والتي يرجح تاريخها قبل القرن ٧هـ/١٣م بالمكتبة الأهلية بباريس واقدم نسخة مؤرخة محفوظة بمكتبة البودلية في أوكسفورد ترجع إلى سنة١٣٥٤م[٤١]، والذي يدعم الظن بوجود نسخة أندلسية على نسق ما تم مع الكواكب الثابتة للصوفي التي نسخت في سبتة -المحفوظة بمكتبة الفاتيكان - وفي أقطار مختلفة من العالم الإسلامي، كما أن هذه النسخة المترجمة كانت من الكتب التي نالت اهتمام القصر الملكي القشتالي حتى اننا نجد النسخة التي نحن بصددها هي من ممتلكات الملكة ايزابيل الأولى الكاثوليكية Isabel la catolica. كما يوجد عدة نسخ مخطوطة ونسخ تعود إلى بداية عهد الطباعة مما يرجح بحكم حوزتها في مكتبات الملوك أنها من ضمن ما كان يتثقف به الخاصة من البيت الملكي والطبقة الأرستقراطية (لوحة ٢٤) .

والملاحظ في الأعمال المصورة القشتالية أن كل من كتاب كليلة ودمنة وكتاب النصوص las partidas(لوحة٢٥)لم يراعى في صورهما الاهتمام بالمنظور بشكل واضح وهو في حد ذاته تأثير من ناحية الأسلوب بالمدرسة العربية بالأندلس كما لم يترك الخطاط مواضع تكفي الرسم مما جعل المصور يكيف الرسم طبقا للمساحة المحددة بالإضافة أن الصور لم تكن ملونة ومتقنة وموزعة في تسلسل قصصي داخل مربعات بما هو متبع في التصوير بمخطوط الأناشيد وكتاب الألعاب فالتأثير في هذان المثالان واضح من الناحية التطبيقية أكثر من غيرهما من الأمثلة.

التأثير القشتالي في التصوير الغرناطي

ولم يكن التأثير في تصوير المخطوطات من جانب واحد فقط، بل كان متبادلاً فقد تأثر فن تصوير المخطوطات بغرناطة بالخصائص الفنية للمخطوطات القشتالية المصورة، و على الرغم من أن المثال المستعان به وهو نسخة من مخطوط سلوان المطاع في عدوان الأتباع من القرن ١٠هـ/١٦م لمؤلفه أبن ظفر الصقلي المتوفي بمدينة حماة عام١١٦٠م وفي رأي اخر عام١١٧٢م[٤٢]، والمؤلف يتناول في كتابه القواعد السلوكية التي يجب أن يتبعها الملوك في وجه مصائب الدهر ومشاكله وقد رتب تلك القواعد في خمس أقسام وهي الإيمان بالله وبعدالة القضية والشجاعة والصبر والخضوع لإرادة الله والقضاء والقدر والتفاني في العمل، من المرجح نسبت النسخة محل الدراسة لأحد المورسكيين الذين خضعوا للحكم القشتالي بعد سقوط

٤١الباشا، حسن: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ص١٠٣-١٠٤.

٤٢مخطوطة محفوظة بالإسكوريال برقم ٥٢٨ بحالة جيدة جدا، مكتوبة على ٨٩ ورقة قياس كل ورقة ٢١,٤ x ١٥,٨ سم، في كل صفحة١٧ سطرا وتحتوي على ٤٧ صورة على نصف ورقة فيما عدى صورتين تشغل كل واحدة منهما صفحة كاملة ،أغلبها مضمنة في سياق السرد.

المنارة للاستشارات
www.

غرناطة وقام بنسخها[٤٣]، مع الوضع في الاعتبار أن سقوط غرناطة كان في العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي أي أن الفترة الزمنية ليست بالكبيرة حتى يظهر لنا أسلوب فني جديد ، فسقوط الدول سياسيا لا يعني بالضرورة سقوطها فنياً، ولكي يظهر لنا طراز فني مختلف يتطلب ذلك تراكم في الخبراتو فترة زمنية كافية لاكتساب تلك الخبرات.

بالإضافة إلى ما سبق يوجد بقصر البرطلأحد قصور الحمراء قاعة تعرف بقاعةالعرش، وتعرف أيضاً بقاعة العدل، رسم في سقف الحنية الوسطى منها صورة عشرة فرسان مسلمين وهم ملوك غرناطة العشرة قبل أبي عبد الله الصغير، أولهم محمد الغني بالله وآخرهم أبو الحسن والد أبي عبد الله الصغير،وهذا يؤيد تأثر المملكة الغرناطية بالمدرسة التصويرية القشتالية المعاصرة لها فيكفي أن نتمعن في ملامح وجوه السلاطين المرسومة في سقف القاعة لنتأكد من مسألة التأثر بالفن القشتالي مما دفع بعض الباحثين بترجيح الاستعانة بفنانين من طليطلة لرسم تلك الصور.

ولعل ما يدعم استنادنا على هذه الزخرفة الجدارية، أنها نفذت على الرق المشدود على خلفية خشبية، أي أن هناك مادة مشتركة مع فنون الكتاب ممثلة في الرق الذي يستخدم في الكتب، ولكنه استخدم هنا بوضعية مختلفة[٤٤](لوحة٢٦).

وما يميز تصاوير مخطوط سلوان المطاع أننا نلمس الدقة في ريشة الفنان لدرجة انه يظهر الإنفعالات البشرية في ملامح الشخصيات، كما أنه يحاكي الواقع في رسمه للحيوانات، أما عن تعبيره عن الطبيعة فقد كان اكتفي بالإيحاء، فتقتصر المشاهد الطبيعية على مجموعة من الأشجار في إشارة رمزية لوجود حديقة.

أما بالنسبة للألوان فلقد استخدمت الألوان المائية بتناسق وتنوع في نفس الوقت، حتى أنه في بعض الأحيان يستخدم لوناً واحدً ولكن بتدريج مما يظهر قدرته الفنية.

ولقد عبر الفنان في صور المخطوط عن هوية الأشخاص من ملابسهم فأظهر لنا شكل الملابس المستخدمة من قبل أهل المغرب والأندلس فعلى سبيل المثال نجده يظهر شخصيات عربية،مرتدية معطفا من الوبر وفوقة قلنسوة، وهو البرنس المستخدم في بلاد المغرب، كذلك ينوع في أشكال العمائم التي كانت ترتدى على الرأس فنجده يظهر نوعا منها له زوائد تحيط بالرقبة و الفم مثل الطيلسان (لوحة ٢٧).

كما أوضح الفوارق الإجتماعية من خلال دقته في تصوير النساء، فأعطى صورة كاملة التفاصيل لنساء بلباس فضفاض، زيد في أناقته ببعض الحلي الذي يدل الثراء

٤٣أريي، رحيل: المنمنمات في اسبانيا-الإسلامية، ترجمة محمد خير البقاعي، الرياض٢٠٠٢م، ص٤٥.

[44]Bernis,Carmen:Las Pinturas de La Sala de Los Reyes de La Alhambra , Cuadernos de La Alhambra,N:18,p:23.

المنارة للاستشارات
www.

ورغد العيش، و لكي يعبر عن عكس ذلك نجده يظهر الجواري سمر البشرة بثياب تمتاز بالبساطة والقدم معبراً عن ذلك بخبرته في استخدام الألوان[٤٥](لوحة ٢٨).

ثالثا : التجليد أو التسفير

نجد أن هناك تواصلاً قوياً في تجليد الكتب ما بين المملكتين يستند على انتشار الفن المدجن بالمدن الأسبانية التي استندت على عناصر الفن الإسلامي الأندلسي في تكوين مواضيعه الفنية، فقد أعتبر كامتداد له، وقد ساهم ذلك في ظهور أغلفة الكتب المزدانة بزخارف إسلامية أصيلة كالطبق النجمي (لوحة ٢٩)، واستخدام ما يشبه الكتابة العربية، كعناصر زخرفيه تزين أغلفة الكتب، بالإضافة إلى وجود لسان وهو، طرف مثلث لحماية مقدمة الكتاب.

على الرغم من ندرة أغلفة المخطوطات المؤكدة التأريخ لعهد بني نصر إلا أن تزامن المخطوطات القشتالية ذات الزخارف الإسلامية السابقة الذكر مع مملكة غرناطة تؤكد وجود المصدر المؤثر الذي نرصد تأثيره بمملكة قشتالة في عمائرها وفنونها المختلفة ، والتواصل ما بين المخطوطات القشتالية و الغرناطية في فن التسفير ما بين القرن ٧هـ/١٣م-٩هـ/١٥م ممثلا بشكل عام في المرحلة الأولى للفن المدجن في أمثلته المتعلقة بفنون الكتاب حيث أن بعض مؤرخي الفن يقسمون فنون الكتاب في الفن المدجن el arte Mudejar بالفن القوطي المدجن *artegótico mudéjar* وفن النهضة المدجن*arte renacentista mudéjar*.

فالتواصل يظهر لنا بشكل عام في أصول الصنعة عملية صباغة الجلد وكيفية الصباغة وتثبيتها والتشابه في تركيبات الألوان المستخدمة في كل من قشتالة وغرناطة استنادا على ما ذكر في كل من المخطوط القشتالي المحفوظ برقمH490 بمكتبة كلية الطب بمدينة مومبلييه[٤٦] وما أورده كل من عمدة الكتاب الذي ينسب لأبن باديس٤٥٤هـ وبكر بن إبراهيم الأشبيلي ٦٢٨هـ في التيسير في صناعة التسفير[٤٧] ، والملاحظ في المصدرين أنهما يتفقان في الإرشادات المعطاة من قبل كل مؤلف القشتالي فيما يتعلق بحرفية الصنعة فهما ينصحان بتحضير الصبغة في ماء بارد وأن عملية الصباغة تتم بنقعه في أحواض كما يتم صنفرة الوجهين بفرشاة أو بقطعة من الصوف وبعدها يتم إضافة المثبت مثل الشب والسماق والنصح أن يوضع الجلد ليجف في الظل وبعيدا عن أشعة الشمس وتيارات الهواء .

---

[٤٥]أريي، رحيل: المنمنمات في اسبانيا-الإسلامية ،ص٣٩-٦٤ .

[46]De La LLave ,Ricardo Cordoba,A fifteenth-century Castilian technical book of prescriptions:Manuscript H 490 of the Medical Faculty of Montpellier,En la España Medieval ,2005,N, 28,p. 11-17.

[٤٧]عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق عبد الستار الحلوجي وعلى عبد المحسن زكي ،مجلة معهد المخطوطات العربية،١٩٧١م،مج١٧،ص١٦٠-١٦٦.التيسير في صناعة التسفير ،نشر عبدالله كنون،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد،١٩٥٩م،ص١-٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.

مما يفيد باستمرارية الحرفة الخاصة بدباغة الجلد على نفس أسسها منذ القرن٧هـ/ ١٣ م حتى القرن ٩هـ/١٥م.بكل من غرناطة وقشتالة فأتباع قشتالة لما ورد في المصادر العربية يفيد بأتباع غرناطة نفس الأسس الحرفية لاشتراكهم في الميراث الأندلسي المصدر الذي كانت غرناطة وقشتالة تستمدان منه معارفهما الفنية.

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (١٦)
مخطوط بياض ورياض Ar.36

لوحة (١٧)
كتاب الألعاب تصوير الباحث

لوحة (١٨) اناشيد السيدة العذراء توضح الأسلحة المستخدمة والرايات والخيام نقلا عن:
Higura,Terresa Perez:Objetos y Imagene

لوحة (١٩) درع غرناطي
نقلا عن:
Higura,Terresa Perez:Objetos y Imagene

المنارة للاستشارات
www.

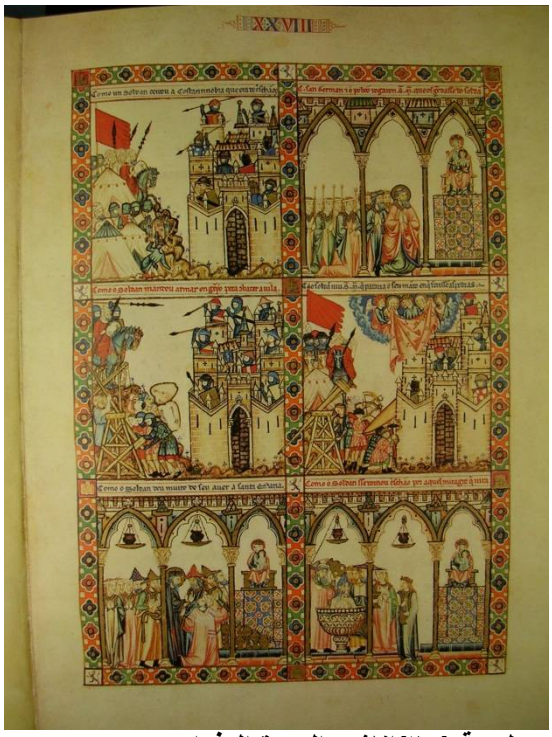

لوحة (٢٠)اناشيد السيدة العذراءlas cantigas
تصوير الباحث

لوحة (٢١) كتاب الألعاب تصوير الباحث

المنارة للاستشارات
www.

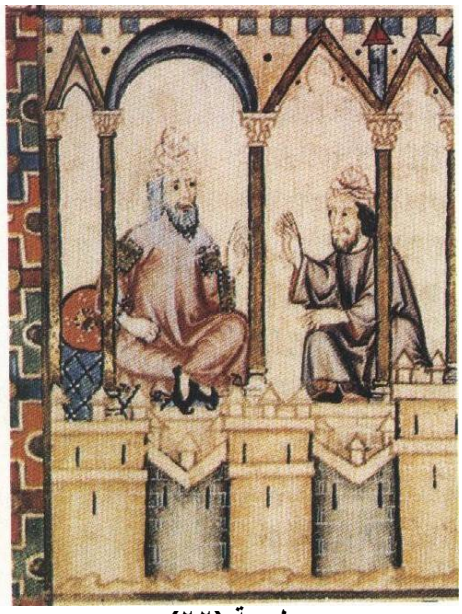

لوحة (٢٢)

نقلا عن:Higura:Objetos y Imagene

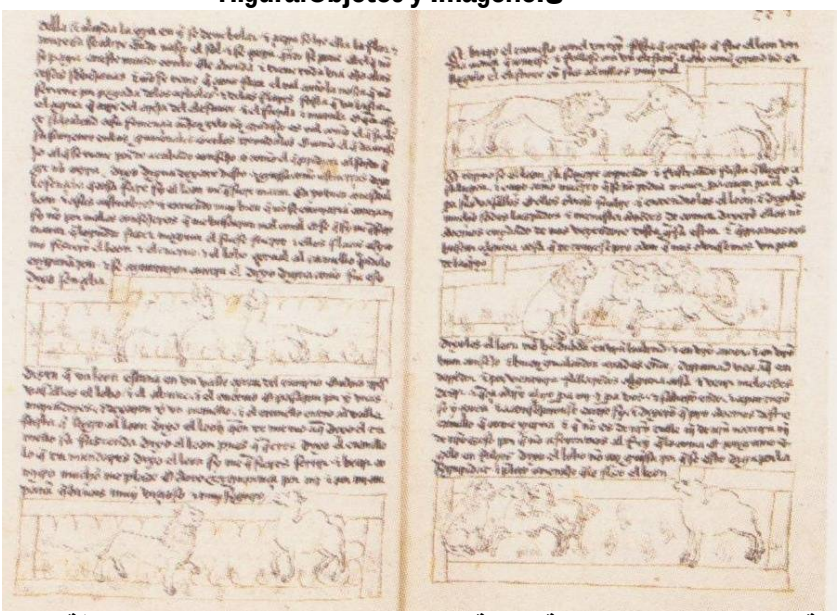

لوحة ((٢٣) من مخطوط كليلة ودمنة ٢٧,٨سم x ١٩,٣سم مكون ٩٤ ورقة ترجم للقشتالية في منتصف القرن ١٥م/٨هـ ينسب للملكة ايزابيل ،محفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم :h-III-9 نقلا عنAlfonso x Toledo ,1984,p.178

المنارة للاستشارات
www.

لوحة(٢٤) كتاب النصوص القانونية الذي اعتمد عليه في التشريعات حتى القرن ١٩ م
نقلا عن:-http://lineainformativakr.blogspot.com.eg/2009/04/el-codigo-de-honor-de-las-siete.html

لوحة (٢٥) رسوم فرسان بسقف قاعة العرش
نقلا عن :Higura:Objetos y Imagene

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٢٦)ملابس الراجال الدالة على الهوية
سلوان المطاع نقلا عن:رحيل ارييه المنمنمات في اسبانيا-الإسلامية

لوحة (٢٧)ا لثياب الدالة على المكانة الإجتماعية
سلوان المطاع نقلا عن: المنمنمات في اسبانيا

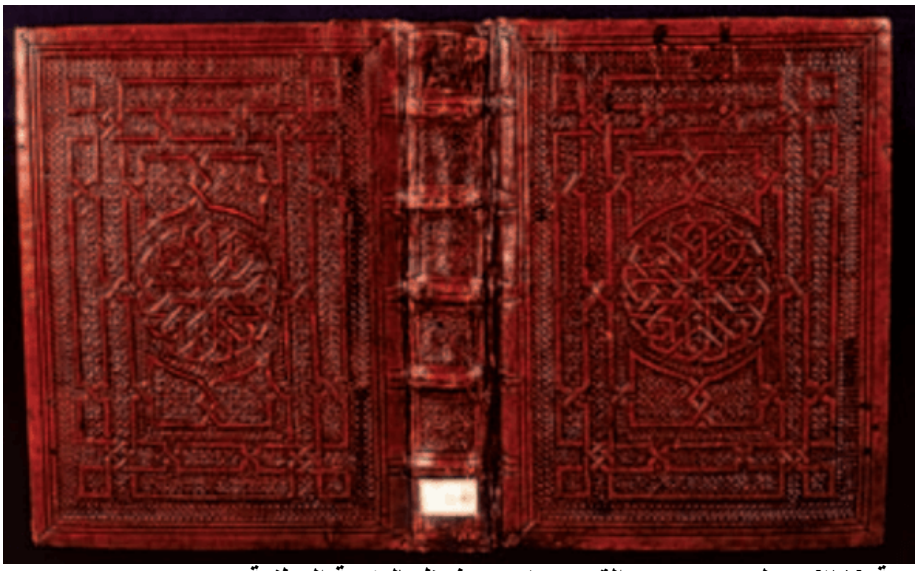

لوحة (٢٨) تجليد مدجن من القرن ١٥م محفوظ بالمكتبة الوطنية بمدريدMisal Toledano
نقلا عن:http://www.bibliopos.es/encuadernacion-mudejar/

المنارة للاستشارات
www.